الثنائيات الضدية في شعر(عمر بن أبي ربيعة)

Opposite dualities in the poetry of (Omar bin Abi Rabia)

م.م. احمد جبار دويل

جامعة كربلاء المقدسة/رئاسة الجامعة/قسم الشؤون الإدارية والمالية

Ahmed.gabar@s.uokerbala.edu.iq

ملخص البحث

إنَّ مصطلح الثنائيات الضدية هو مفهوم فلسفي حديث، عرفه العرب القدماء بأسماء أخرى، كالتقابل والطباق، وعرّفوه بأنَّه تضاد باللفظ وتضاد بالمعنى، والتضادان هما اللذان ينفي أحدهما وجود الآخر، كالسواد والبياض، والنور والظلام، فوجود النور ينفي وجود الظلام ولذلك يدخلان في علاقة تضاد وتناقض، والشعور بهما يكون تاماً وواضحاً إذا اجتمعا في المكان نفسه، وهذا ينطبق على كل الإحساسات والإدراكات والصور العقلية كالشعور باللّذة والألم والتعب والراحة.

الكلمات المفتاحية: ثنائية، الضديات، عمر، ربيعة

Summary

The term binary opposites is a modern philosophical concept The ancient Arabs knew it by other names, such as al-Taqabul and al-Tabaq, They defined it as an opposition in word and an opposition in meaning, and the two opposites are those that deny the existence of the other, Like black and white, light and darkness, the existence of light negates the existence of darkness and therefore they enter into a relationship of opposition and contradiction.

The feeling of them is complete and clear if they meet in the same place, and this applies to all sensations, perceptions, and mental images, such as the feeling of pleasure, pain, fatigue, and comfort.

التمهيد

أولاً : مفهوم الثنائيات الضدية:

كما هو معلوم إن للّغة العربية تعبيرا عن الحياة وانعكاس للواقع المتصارع والمتناقض، والأدب تعبير عن النفس البشرية المتقلّبة، وإذا تأملنا ما حولنا نجده معتمداً على أضداد تشكل ثنائيات متقابلة مبنيّ عليها الكون كلّه، ففي الطبيعة النور والظلام، وأرض وسماء، والطبيعة البشرية قائمة على المفارقات والمتناقضات، فيها الصادق والكاذب، وفيها الخير والشر، وفيها الطيب والخبيث، وكذلك الدار داران دار الدنيا، ودار الآخرة ففي الدنيا مؤمن وكافر، حسنات وسيئات، وفي الآخرة، سعيد وشقي، ثواب وعقاب، جنة ونار، فالتقابل بين هذه الثنائيات الضدية من الأسس التي يقوم عليها الوجود[1].

في ضوء ذلك يمكننا أن نبحث عن تعريف للثنائيات وللمتضادات لدى بعض الدارسين القدماء والمحدثين، يعرّف أبو هلال العسكري المتضادين بقوله : "المتضادان هما اللذان ينتفي أحدهما عند وجود صاحبه إذا كان وجود هذا على الوجه الذي يوجد عليه ذلك كالسواد والبياض" [2]، ويعرّف جميل صليبا الثنائيات:" الثنائي من الأشياء ما كان ذا شقّين والثنائية هي القول بزوجية المبادئ المفسّرة للكون، كثنائية الأضداد وتعاقبها ..." [3]، والضدان يتعاقبان في موضوع واحد يستحيل اجتماعهما[4] ، و"الثنائيات الضدية ظاهرة فلسفية تم سحبها على النقد الأدبي، وأول من طبقها على الأدب هم البنيويون، ويعدّ هذا المصطلح مفردة من مفردات الثقافة الغربية"[5]، رغم أنها موجودة كظاهرة في تراثنا العربي فكرةً وإنتاجًا، وقديما قال الجاحظ (ت 255 هـ) :" اعلم أن المصلحة في أمر ابتداء الدنيا إلى انقضاء مدتها امتزاج الخير بالشر، والضار بالنافع، والمكروه بالسار والضعة بالرفعة، والكثرة بالقلة، ولو كان الشر صرفا لهلك الخلق ، أو كان الخير محضا سقطت المحنة، وتقطّعت أسباب الفكرة ومع عدم الفكرة يكون عدم الحكمة "[6]؛ لأن الناس بطبيعتهم مختلفون وغير متشابهين تماما ومظاهر الحياة كلّها هي نتيجة ذلك التجاذب بين قطبي هذه الثنائية وتصارعهما [7].

ثانياً : عمر بن أبي ربيعة:

هو أبو الخطّاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة حذيفة بن المغيرة من بني مخزوم بن يقظة بن مرّة، ولد في السنة 23 هـ / 644 م، ولا يعرف بالتأكيد مكان ولادته، فقد يكون الجَنَد في اليمن، وهي المدينة التي اتّخذها والده مقرّاً لتجارته، أو

مكّـة، وهـي مـوطن العائلـة، أو المدينـة، وهـي مسـرح نشـأته [8]، نشـأ عمـر فـي المدينـة نشـأة التـرف والجـاه، وكـان لـه مـن الجمـال والمـال مـا فـتح لـه أبـواب الملاهـي علـى مصـراعيها، وكـان شـديد الولـع بالنسـاء، بعـد المدينـة انتقـل إلـى مكـة، وفيهـا واصـل حياته اللاهية مستغلاً مواسم الحج للقيام بمغامرته مع النساء، حتى قال :

سلامٌ عليها ما أحبت سلامنا * فإنْ كرهته فالسلام على أخرى [9]**

وتضـاربت الروايـات فـي سـبب موتـه مثلمـا اختلفـت فـي زمـن وفاتـه، وأغلـب الظـنّ أنه توفي في السنة 93 هـ / 712 م [10].

ثالثًا:- شعره :

لعمـر بـن أبـي ربيعـة ديـوان شـعري يكـاد أن يكـون كلّـه فـي الغـزل، وهـو غـزل عصـر وبيئـة، عصـر الغـزل فـي البيئـة الحجازيـة ، أو فـي بيئـة التـرف الحجازيـة ، ولا نسـتطيع أن نفصـل بـين عمـر وغزلـه دون أن نُسـيء إلـى الأثنـين معـاً، فـالغزل كـلّ شـيء فـي حيـاة عمـر وفنّـه، لأجلـه عـاش، ولأجلـه نظـم، وبسـببه كـان خلـوده فـي دنيـا الأدب ..."[11]، فكان عمر بن أبي ربيعة زعيم الغزليّن[12].

المبحث الأول : ثنائية القرب والبعد

معنـى القـرب فـي الدلالـة اللغويـة ضـد معنـى البعـد، يقـال : " قربـتُ منـه أقُـربُ وقربتُـه أقربُـه قربـاً وقربانـاً ويسـتعمل ذلـك فـي المكـان وفـي الزمـان وفـي النسـبة وفـي الحظـوة والرعايـة والقُـدرة "[13] وقُـرب قُربـا بضـم القـاف أي (دنـا)، وقـال الفـراء : " القريـب بمعنى (المسافة) يذكر ويؤنث ويأتي بمعنى النسب" [14].

أمّـا البعـد فخـالف القـرب "وأبعـده الله نحـاه عـن الخيـر وباعـد الله بينهمـا وبعـد"[15]، نحـو قولـه تعـالى: ﴿ **قـالوا ربَّنـا باعـد بـين أسـفارنا** ﴾ [16]، ويـأتي البُعـد والبَعَـد بمعنـى هلـك[17]، نحـو قولـه تعـالى : ﴿ **كمـا بعـدت ثمـود** ﴾ [18]، وخلاصـة القـول إن المعـاجم

اللغويــة تجمــع علــى أن مفهــوم البعــد فــي اللغــة جــاء بمعنــى (نحــا ، و هلــك) ، بينمــا جاء مفهوم القرب بمعنى (الدنو ، المسافة ، و النسب ، ومقاربة الشيء).

أمّــا اصــطلاحاً فــإن دلالــة القــرب والبعــد الاصــطلاحية تقتــرب مــن دلالتهمــا اللغويــة، فثنائيــة (القــرب و البعــد) ثنائيــة ناتجــة عــن ائــتلاف (القــرب والبعــد) ائتلافــا منطقيــا ضــمن أطــار الثنائيــة الضــدية تســهم فــي خلــق مكــون أبــداعي جمــالي فكــري نفســي فــي شــعر عمر بن ابي ربيعة.

وقــد أخــذت هــذه الثنائيــة حيــزا كبيــرا فــي شــعره أضــفت علــى الــنص الشــعري صــفة الصــراع بــين الحبيبــين بصــفات جــاءت علــى صــعيد الوصــل والهجــر والبعــد والقــرب، وبعــض آخــر جــاء وبطريقــة غيــر مباشــرة بمفــردات رديفــة تشــير إلــى ذات الدلالــة والمعنــى التــي تتضــمنها الثنائيــة؛ لأن مــن طبيعــة الثنائيــات الضــدية اعتمادهــا الفكــر القائم على التضاد [19]، من ذلك قول عمر بن أبي ربيعة [20]:

كُــلُّ خَلْقٍ وإنْ دنا لــوصالٍ * أو نــأى فَهو للــرَّبابِ الفداءُ**

فَعِدي نــائلاً وإنْ لــم تُنيلي * إنّما يَنْفَعُ المُحِبَّ الرّجــاءُ**

نلاحــظ فــي هــذا الــنص الشــعري كلمتــي **(دنــا / نــأى)** واللتــين يجســدان ثنائيــة **(القــرب والبعــد)** فهــو يريــد بــأن كــلّ وصــال ســواء دنــا أو بعــد هــو فــداء للربــاب فهــي مهمــا حاولت أن تصرف نظرها عن نيل وصاله إلا أنه محب يتوسل بالرجاء علّه ينفعه.

وكذلك قوله [21]:

راح صحبي وعاود القلبَ داءُ * من حبيبٍ طِلابُه لــي عنــاءُ**

حَسَنُ الرأي والمواعيد لا يُلفى لش* يءٍ مِــــمّا يقــولُ وفــاءُ**

مَــنْ تَعَزَّى عَمــّن يُحِبّ فــإني * ليس لي ما حييتُ عنــه عزاءُ**

فــي هــذا البيــت نــرى ثنائيــة (راح / عــاود) مســتمدتان مــن ثنائيــة (القــرب والبعــد) فهــو عنــدما يــروح صــاحبه يعــاود قلبــه للجهــد والتعــب والعنــاء بســبب الحبيــب الــذي لا يفــي

لشيءٍ من الوفاء فهناك من يتعزى بمن يحب ويرتاح لكنَّ الشاعر لا يتعزّى ما بقي حياً عمّن يحبّ بسبب البعد والفراق .

ومن ذلك قوله [22]:

حيّيا أمَّ يعمرا * قبلَ شحطٍ من النّوى**

قُلتُ لا تعجّلوا الرَّوا * حَ فقالوا أَلا بَلَى**

أَجْمَعَ الحيُّ رحلةً * فَفُؤادي كَذي الأَسى**

ففي هذا النص أيضا تبرز ثنائية القرب والبعد في قوله (شحطٍ من النوى) وكذلك (الرواح) ، وهذا ما سبب له الأسى والحزن وبهذا علينا القول ان الثنائيات المستدعاة بقصد الشاعر ووعيه تمثل جزءا من دواعي التعبير عن طبيعة التجربة الشعورية، وتعمل على وضع صفة التشاركية بين المبدع والمتلقي حتى يستشعر أبعاد المعاناة النفسية وتسلطها على الذات المبدعة وهو يحاول إيجاد علاقة توافقية بينه وبين المحبوب إذ يحاول الشاعر في هذا النص الشعري تجسيد هذه العلاقة ضمن أطار التأمل فأستدعى (القرب)على الرغم من بعد وهجر الحبيب له كما في قوله (قلت لا تعجلوا الرّواح فقالوا بلى)، وكله أمل في ان يجمع الشمل بعد الفراق في تشكيل ثنائي رائع قائم على الضد وما يماثله في تغاير المعنى.

و يقول [23]:

ذكرتُكِ يوم القصر قصر ابنِ عامرِ * بخُمٍّ وهاجت عبرةِ العين تسكُبُ**

فظِلتُ وظَلّت أينقٌ بِرحالها * ضَوامِرُ يستأنيْنَ أيَّانَ أَرْكَبُ**

أُحدِّثُ نفسي والأَحاديثُ جَمَّةٌ * وأَكْبرُ همَّي والأَحاديثُ زينبُ**

فهو عندما يذكرها في منطقة (خم) وهو وادٍ بين المدينة ومكة تهيج عبرته وتسكب عينه ويظل يحدِّث نفسه على أمل القرب بمحبوبته أي أنه يشكّل في مخيلّته

حـواراً يتمنـى فيـه القـرب مـن محبوبتهـا علـى الـرغم مـن بعـدها فيُحـاول أن يـوفّر لـه جـواً نفسياً يمنحه القرب من محبوبته، وكذلك يقول [24] :

وبعمّان طاف منّها خيالٌ * قُلتُ اهلاً بِطَيفِها المُنْتابِ**

هَجَـرتهُ وقرَّبتَهُ بِـوعـدٍ * وتجنَّ لهجرتي واجتنابي**

فالشـاعر هنـا يحـاول أن يجتمـع بمحبوبتـه فـي الخيـال حينمـا يقـول : (وبعمـان طـاف منهـا خيـال) هـذا الخيـال كأنـه القاصـد الزائـر وهـو عنـدما يصـطنع (**القـرب)** بوسـاطة الخيـال يصـطنع **(البعـد)** بالجنايـة والـذنب فيقـول (وتجـنّ لهجرتـي واجتنـابي) مسـتخدماً البعـد بطريقـة غيـر مباشـرة عـن طريـق مفـردة رديفـة وهـي (الاجتنـاب) فالبعـد المكـاني والقـرب الروحـي جـاء عـن طريـق التفاعـل العـاطفي الـذي ينـوء بقـدرة الحـب الـذي يطـوي المسـافات البعيـدة ليحيلهـا إلـى اقتـراب مكـاني ضـمن ثنائيـة (**القـرب والبعد)**، ومن ذلك قوله [25] :

إنّ وجدي بقُربِكم أُمَّ عمرٍو * مِثلَ وجدِ الصّدي ببردِ الشرابِ**

إن شـدة حبـه ووجـده وهـو بقـرب الحبيـب مثـل وجـد كثيـر العطـش(الصـادي) وهـو بقـرب الشـراب البـارد فهـو رغـم قربـه إلـيهم شـديد الشـوق لهـم كأنـه بعيـداً جـداً وهـو تشـكيل ثنـائي رائـع يصـوره الشـاعر، فقـرب الحبيـب بالنسـبة إليـه يسـهم فـي تنميـة العلاقـات الإنسـانية وبعـده يضـعف مـن تلـك العلاقـات ولا يسـمح بالتواصـل بـين العاشـقين، لـذلك يقول [26]:

لَجَّ قلْبي في التصابي * وأزدهـى عَنّي شبابـي**

وَدَعانـي لـــهوى هِنْـ * ـدٍ فـــؤادٌ غيْرُ نـابِ**

قُلْتُ لمّا فَاضَتِ العَيْنـ * ـانِ دَمْعاً ذي انسكـابِ**

إنْ جَـفتنـي اليومَ هنْدٍ * بَعْدَ وِدٍّ و اقترابِ**

فسبيلُ الناسِ طُراً * لِفَـــــناءٍ وذهـــابِ**

فقلب الشاعر أوغل وتمادى في التصابي والميل والدعوة (للقرب) ولحب (هند) من غير تجافي (وبعد) لكن بعد إنْ جفته وبعدت عنه هند بعد الودِّ والاقتراب وسالت دموعه بانسكاب ايقن في نفسه أنَّ سبيل الناس هو الفناء و البعد فيتحرك النص الشعري ضمن فضاء الصراع النفسي الذي تم توظيفه في إطار ثنائية (القرب و البعد) على صعيد الهجر والوصل وهو ما دفع الشاعر إلى تصوير مشاعره المتضاربة بين الهجر والوصل لكنه في النهاية رضخ للهجر؛ لأن سبيل الناس هو الفناء والبعد، ومن ذلك قوله [27]:

فاعذريني إنْ كُنْتُ صاحبَ عُذرِ * واغفري لي إنْ كُنْتُ أذنبتُ ذنبا**

لَوْ تحرّجتِ أو تجرّمتِ منّي * ما تباعدتِ كُلّما ازدّتُ قربا**

فصلي مُغْرماً بِحُبِكِ قد كـ * ـان على ما أوليتيه بك صَبّا**

فالشاعر هنا يطلب العذر وغفران الذنب من محبوبته ويخاطبها بأنه كلما يزداد القرب منها هي تبتعد لذلك يطلب منها الوصال ، فهي كلما تقترب منه يهدأ روعه ويسكن قلبه وكلّما تبعد ينالله النصب والجهد والتعب؛ لازدياد شوقه اليها فلذلك يقول [28]:

أَشوَّقُ أنْ تنأى بِنائلةِ النّوى * وهل ينفعني قُربُها لو تقرَّبُ**

فإن تَتَقرّبُ يسكن القلبَّ قربها * كما النأي منها مُحْدِثُ الشوقِ مُنْصِب**

و هكذا تجلت ثنائية (القرب و البعد) في النصوص الشعرية في ديوان الشاعر عمر بن أبي ربيعة بطريقة مباشرة وصريحة و بطريقة أخرى غير مباشرة باستدعاء مفردات رديفة تحمل معنى آخر لثنائية البعد والقرب التي ورد أغلبها على صعيد الهجر والوصل والمتمثلة بقرب الذات(الأنا) من الحبيب(الآخر) و البعد عنه مكانياً وروحياً، لتسهم في خلق حركة صراعية تنتاب المحب في حال تذكره إيّاها.

المبحث الثاني : ثنائية الحياة والموت

الحياة والموت لغةً:

ورد في لسان العرب معنى الحياة ضد الموت في قوله: "الحياة نقيض الموت والحي نقيض الميت.. والجمع: أحياء، والحي كل متكلم ناطق، والحي من النبات من كان طريّاً يهتز "[29]، ووردة اللفظتين في القرآن الكريم، في قوله تعالى:﴿**وما يستوي الأحياء ولا الأموات**﴾ [30]

الحياة والموت اصطلاحاً:

عرف الجرجاني (ت817هـ) الحياة أنها " صفة توجب للموصوف أن يعلم ويقدر، والحياة الدنيا هي ما يشغل العبد عن الآخرة "[31]، وعرف الموت أنه " صفة وجودية خُلقت ضد الحياة " [32]، فثنائية الحياة والموت لدى عمر بن ابي ربيعة متأتية من شعره الغزلي ومكملة لثنائية القرب والبعد بمعنى أن البعد عنده موت والقرب حياة ، من ذلك قوله [33] :

والدّمعُ للشّوقِ مِتْباعٌ فما ذُكِرَتْ * إلاّ تَـرَقْرَقَ ماء العين فانسَكَبا**

لم يُسلِه النأي عنها حين باعدَها * ولم ينلْ بالهوى منها الذي طلبا**

فهو كشِبهِ المعنَّى لا يمُوتُ ولا * يَحْيا وّقد جَشّمَته بالهوى تعبا**

مُزَنَّح العقلُ قدْ ملّ الحياةَ ومَنْ * يعْلَقْ هوى مثلها يستوجِب العَطَبا**

فالشاعر في هذا النص يصف دموع العاشق بأنها تَبع للشوق تسكب من العين بسبب النأي فالعاشق هنا مثل المعذب الذي لا يموت ولا يحيا بسبب تجشمه لعناء الحب إذ وظّف الشاعر ثنائية (**الحياة والموت**) للعاشق الذي انهكه واتعبه الشوق، ويقول ايضاً [34] :

فاتّقي ذا الجلال يا أمَّ عمرٍو * واحكمي في أسيركم في الصوابِ**

افعلي بالأسير إحدى ثلاثٍ * فافهميهنَّ ثم ردّي جوابي**

اقتليه قتلاً سريحاً مُريحاً * لا تكوني عليه سوطِ عذابي**

أو أَقيدي فإنّما النفسَ بالنفَّ * سِ قـضاءً مُـفصلاً في الكتابِ**

أو صليه وصلاً يُفرُّ علـيه * إنّ شـرَّ الوصـال وصلُ الكِذابِ**

فالشاعر في هذا النص الشعري يستدعي ثنائية (الحياة والموت) لكن من جانب آخر وهو الجانب العاطفي فالعاشق كالأسير بيد المعشوقة، والشاعر يعطي ثلاث حلول لها إمّا القتل **(الموت)** المريح دون عذاب أو القصاص منه جزاءً بما فعل أو أنْ تبادله الحب ليقرّ ويطمئن ويفرح فتبث به **(الحياة)** فجمع الشاعر بين مفردة (أقيدي) بمعنى القصاص والتي تدل على الموت وبين مفردة (الصلة) التي تدل على الحياة، وعمر بن أبي ربيعة يوظف ثنائية (الحياة والموت) في نصوصه بين العاشق والمعشوقة وهو شاعر الغزل المعروف فيقابل بين تجافي المعشوقة والموت وبين وصالها والحياة ويجعل من نظرات عيونها الواسعة وكأنها نظرات منيّة تصاحب ابن آدم لغاية الموت والهلاك ولذلك يقول [35]:

غَرّاء يعشي الناظرين بياضها * حَوْراء في غَلْواء عيشٍ مُعْجِبِ**

فَتأمَّلَتْ عَيناكَ فيكَ وإنّما * زورُ المنيّةَ لابن آدم يُصْحَبُ**

إنّ التي من أرضِها وسمائِها * جُلِبَتْ لِحَيْنك لَيْتها لم تُجلِبِ**

ويقول ايضًا [36]:

قُلْتُ: مهلاً عفواً جميلاً، فقالت : * لا وعيشي لو رأيتَكَ مِتَّا**

فهو وعلى لسان معشوقته يوظف ثنائية **(الحياة والموت)** بأسلوب درامي يوضح فيه كيف دار بينهما الحوار؟ فيطلب العفو والصفح الجميل لكنّها تأبى وتقسم بحياتها (فقالت : لا وعيشي) أنها لو رأته سوف تموت، ومنه قوله [37]:

أموتُ إذا شَحَطَتْ دَارها * وأحيا إذا أنا لاقيتَها**

فأُقْسِم لو أنَّ ما بي بِها * وكُنتُ الطبيبَ لداويتُها**

تحيل قراءة النص الشعري إلى أنّ الشاعر وظّفَ ثنائية **(الحياة والموت)** بخلاف ما هو متعارف عليها فالشاعر وكما هو معروف عنه يعدّ هجر المعشوقة موتا فيقول (إذا شحطت) بمعنى إذا بعدت هو يموت وفي المقابل يحيا في لقائها، والشاعر في كل نصوصه التي نطالعها في ديوانه يعبّر عن ثنائية الموت والحياة بمعنى هجر المعشوقة أو قربها **أو** رضاها وسخطها ؛ " لأنه زعيم الغزلين من أهل الحضر في عصره، لا يختلف في ذلك الناس، وقد تحسُّ فيما تقرؤه من أخبار هؤلاء الغزلين أنَّ الرواة كانوا يضعون عمر من أهل الحضر بإزاء جميل من أهل البادية، فكأن عمر كان زعيم الغزل الحضري حينما كان جميل زعيم الغزل البدوي ..."[38]، وهو في كل نصوصه يعبر عن حاله في فراق معشوقته، أو سخطها عنه وعدم رضاها بالموت وفي حال قربها ومسامحتها له بالحياة فثنائية الحياة والموت ملازمة لثنائية القرب والبعد كما وردت في المبحث الأول وهكذا تجلّت ثنائية الحياة والموت في النصوص الشعرية المستدعاة من قبل الشاعر بمفردات مباشرة وصريحة تدل على معنى الحياة والموت، وبمفردات رديفة تحمل نفس المعنى لتلك الثنائية الضدية.

المبحث الثالث : ثنائية الأمل واليأس:

الأمل واليأس لغةً :

الأمل في الدلالة اللغوية من أمل و " الأملُ والأمْلُ والإملُ : الرَّجاءُ ، والجمع آمالُ " [39]، أما اليأس فهو ضد الرجاء و " اليأسُ واليآسَةُ : القنوطُ ضد الرجاء أو قَطْعُ الأَمَلِ ، ويئسَ ييأسُ كـ (يمنع) " [40]، وهذا يدل على أنَّ لفظة الأمل في اللغة تدل على الرجاء والعون والمساعدة، ولفظة اليأسُ تدلّ على القنوط وقطع الأمل والمنع.

الأمل واليأس اصطلاحاً:

الأمل في الاصطلاح معنى عام يتداخل مع معاني (الشوق ، الرجاء ، التأمل، الرغبة) فيكون الأمل بمعنى الشوق إذ أنه " حركة النفس إلى تتميم ابتهاجها

بتصور حضرة محبوبها "[41] ، وبمعنى الرجاء " تعلق القلب بحصول محبوب في المستقبل "[42]، وبمعنى التأمل الذي يدل على التثبت في النظر والفرق بينه وبين الرغبة " أن الرجاء طمع والرغبة طلب، فهي ثمرة الرجاء، فأنه إذا رجا الشيء طلبه، والرغبة من الرجاء كالهرب من الخوف، فمن رجا شيئاً طلبه ورغب فيه، ومن خاف شيئاً هرب منه "[43]، بمعنى أنّ الأمل هو توقع حصول شيء ما بالرجاء أو الشوق أو بالتأمل أو الرغبة ، أما اليأس فهو " القطع على أن المطلوب لا يتحصل لتحقيق فواته " [44]، وهو ضد الرجاء و " اليأس نقيضان يتعاقبان كتعاقب الخيبة والظفر، والخائب المنقطع ما أمل "[45] .

وعرّف علماء النفس الأمل واليأس، أن الأمل " عاطفة مشتقّة ، وتتكون أساساً من اتجاهات يغلب عليها الرغبة في الحصول على شيء أو الوصول إلى هدف معين مع فكرة أن هذا الهدف سوف يتحقق مما يجعل الفرد يشعر بالرضا والارتياح وتظل فكرة تحقيق الهدف هذه في كثير من الحالات رغم وجود العوائق والمشكلات التي يمكن أو تحول دون تحقيق الهدف "[46]، بينما اليأس " حال يشعر فيها الفرد بالإحباط الشديد الذي يترتب عليه فقدان الأمل في الإشباع أو تحقيق الحاجات"[47].

وتُعدُّ ثنائية (الأمل واليأس) من أهم مفاهيم علم النفس الإيجابية والسلبية فالأمل يرتبط ايجابياً بمقياس التفاؤل التي تدل على السعادة والمثابرة والنظرة الإيجابية للحياة، فيتجاوز التفاؤل بنظرته إلى الحياة من مجرد رؤية إلى الإيمان بالإرادة والقدرة على بلوغ الغايات[48]، بينما يرتبط اليأس سلبياً بمقياس التشاؤم التي تدل على الفشل والعجز والاحباط والنظرة السلبية للحياة [49] ، والشاعر انسان معرض في حياته إلى تناقضات وتضادات، تُبعث وبشكل عام من ضعفه وقصوره تجاه الحياة من جهة، وطموحه من جهة أخرى وقد وقف الشاعر عمر بن أبي ربيعة أمام تجارب الحياة، واختار الشعر، فكان مأواه الروحي كلما صارعه الألم أو انتابه الفرح لجأ إليه للتعبير عن تلك المشاعر والأحاسيس، من ذلك قوله [50] :

نَعَقَ الغُرابُ ببينِ ذاتِ الدُّمْلُجِ * ليتَ الغرابَ ببينها لم يزعَجِ**

نَعَقَ الغرابُ وَدَقَّ عَظْمَ جناحِهِ * وَذَرّتْ بهِ الأرياحُ بحرَ السَّمْهَجِ**

يطالعنا هذا النص وهو يحمل في طيّاته الأمل واليأس ودلالتهما من مثل قوله: (ليت الغراب ببينها لم يزعجِ)، فالشاعر هنا يتمنى لو أنّ الغراب لم ينعق ولم يزعج الشاعر بفراق المعشوقة ويتمنى أن لم تذر به رياح بحر السَّمهج، ويستمر في هذا المعنى بقوله [51] :

قالوا اصطبر عن حُبِّها مُتعَمَّداً * لا تهلَكَنَّ صَبابةٍ أو تَحْرَجِ**

كيفَ اصطباري عن فتاةٍ طفلةٍ * بيضاءَ في لونٍ لها ذي زَبْرَجِ**

فهم يدعونه للصبر والصبر دلالة على الأمل كي لا يهلك في حبِّها وشوقها، وهو يجيبهم جواب اليائِس الفاقد وكأنَّ بحثه عن فتاته البيضاء الجميلة الناعمة التي بياضها يلمع مثل الذهب يدعو لعد الاصطبار، ومن ذلك قوله [52]:

فما نلتقي من بعد يأسٍ وهجرةٍ * وصدْعُ النَّوى إلاّ وجدْتُ لها بردا**

على كَبِدٍ قد كادَ يُبدي بها الهوى * صُدوعاً وبعضُ الناس يحسبني جَلْدا**

تبرز معالم ثنائية (الأمل واليأس) في هذا النص الشعري؛ لكونه يريد أن يبين ألم اللّقاء، وأنَّ لقائه بمحبوبتِه ليس هيّناً إلاّ بعد فراق طويل وتشقق الفؤاد؛ لكنه يخفي هذا الألم حتى أنّ بعض الناس تحسبه جلدا ، ومن هنا نلاحظ أنَّ ثنائية (الأمل واليأس) هي المحرك للأبداع الشعري عنده ولاسيّما أنَّه شاعر الغزل المعروف، فكانت هذه الثنائية بيّنه في نصوصه الشعرية وخصوصاً عند هجر محبوبته له أو ترحالها فتترك فيه دلالتها الفكرية والنفسية، فبُعد المعشوقة يفقده الأمل ويجعل الواشين والحساد يقفون حجر عثرة في طريق المحبين، فمهما عظم اليأس، وأمسى الأمل ضئيلاً فإنَّ حرمة الحب ووفاء المحب للحبيب باقية ، وفي ذلك يقول [53]:

لقد حَلَفتُ يميناً غَيْـرَ كاذبةٍ * صَبْراً أُضاعفها يا سُكْنَ مُجْتَهِدا**

باله ما نمتُ من نومٍ تقرُّ به * عيني ولا زالَ قلبي بعدكم كَمَدا**

كـم بالحرامِ ولو كُنَّا نُحالفه * من كاشحٍ ودَّ إنَّا لا نُـرى أَبَـــدا**

فالشـاعر رغـم حزنـه وألمـه وكمـده الشـديد ورغـم مـا يضـمره الكاشـح المعـادي لـه يقسـم بأيمـانٍ غيـر كاذبـةٍ بأنـه يعـالج أملـه بِلُقيـا معشـوقته بالصـبر ويسـتدعي مفـردات رديفـة تبعث الأمل والتفاؤل لتدل دلالة واضحة على ثنائية (الأمل واليأس).

المبحث الرابع : ثنائية اللذة والألم

اللذّة والألم لغة :

اللـذّة فـي الدلالـة اللغويـة مـن مـادة (لـذذ): "لـذا الشـيء لـذة ولـذاذة، والتـذ التـذاذاً، وشـيء لـذَّ ولذيـذ، وهـو فـي لـذٍّ مـن العـيش ، ولـه عـيش لـذ" [54]، واللـذة " نقـيضُ الألـم واسـتلذُه: عـدّه لذيـذاً ولـذذت الشـيء بالكسـر، لـذاذاً ي وجدتـه لذيـذا والتـذذت بـه ...، والمـلاذ جمـع ملـذ وهـو موضـع اللـذة مـن لـذ الشـيء يلـذ لـذاذه" [55]، واللـذ واللذيـذ "يجريـان مجـرى واحـد فـي النعـت "[56]، نحـو قولـه عـزَّ وجـلّ : ﴿ وأنهـرٌ مـن خمـرٍ لـذةٌ للشاربين﴾ [57]، وقوله عزَّ وجل : ﴿ بيضاءَ لذَّة للشاربين ﴾ [58].

أمـا الألـم : فهـو " الوجـع والجمـع ، آلام وقـد ألـم الرجـل يـألم ألمـا.. والألـم : المـؤلم الموجـع " [59]، وألـم ومتـألم وضـربه فآلمـه ، ومسـه بضـرب أليـم وبـه ألـم شـديد، وهـو مؤلم موجع [60].

اللذة والألم اصطلاحاً:

عـرّف أرسـطو (ت 322 ق.م) فـي كتابـه الخطابـة اللـذة "بأنهـا حركـة الـنفس واسـتعدادها العـاطفي للاسـتجابة للطبيعـة" [61]، فاللـذة يقصـد بهـا إدراك الملائـم مـن حيـث هـو ملائـم، والألـم إدراك المنـافر مـن حيـث هـو منـافر [62]، وهـي ليسـت سـوى الراحـة والخـروج مـن الألـم، بينمـا الألـم خـروج الشـيء عـن الطبيعـة، والطبيعـة ليسـت بـألم

ولا لـذّة [63]، والإنسـان الـذي يعـاني الألـم هـو الـذي يبـدع، والفنـان الشـاعر يختلـف عـن الإنسـان العـادي فـي تشـكيله لمـادة الألـم فـ " عنـدما تنتهـب نفـس الشـاعر الآلام يجـد عوضـا، عنهـا تلـك اللـذة التـي يسـتمتع بهـا وهـو فـي نشـوة الـوحي وفـي هـذه النشـوة يكمـن مـرض الشـاعر ودواؤه، ولا بـد أن يعـي هـذا لأنـه بسـبب تلـك الآلام كـان الـوحي ومـع الـوحي كانـت النشـوة، أي ان المعانـاة كانـت السـبيل إلـى الـوحي، ومـن ثَـمَّ الإبـداع، وكـان الإبـداع وسـيلة لإخضـاع تلـك الآلام والتلـذذ بهـا، فلـولا الآلام مـا كـان الـوحي، ولـولا الوحي ما كانت اللذة "[64].

ومـن الظـواهر التـي أثارتهـا ثنائية(اللـذة والألـم) عنـد عمـر بـن ابـي ربيعـة هـي الوقـوف علـى الأطـلال والبكـاء علـى الـديار فهـو لا يختلـف عمـن سـبقه فـي ذلـك، إذ وجـد فـي الأطـلال المتـنفس الوحيـد للتعبيـر عمـا يخـتلج فـي نفسـه مـن الحـزن والألـم علـى الـذكريات الماضـية إذ " كانـت اللـذة الوحيـدة التـي يجيـدها هـؤلاء الشـعراء ويسـتحبونها هـي لـذة الألـم والعـذاب فـي حـبهم ولـذة الشـوق والحنـين واللهفـة إلـى أحبـائهم، كـان ألمهـم فـي الحـب هـو غـايتهم فـي اللـذة، وكـان وصـف هـذا الألـم هـو غـايتهم فـي الغـزل وشـعر الوقوف على الأطلال"[65] ، من ذلك قوله [66] :

بـانت سُـليمى فالفؤادِ قريحُ * وِدُموعُ عيني في الرّداءِ سُفُوحُ**

ولقد جرى لك يوم حزم سويقةٍ * فيـمـا يُعيّفُ سانـحٌ وبَـريحُ**

أحـوى المقادم بالبياض مُلمَّعُ * قَلِـقُ المـواقِعِ بالفِراقِ يصيحُ**

الحُـبُّ أبغضه الـــــيَّ أقلَّـهُ * صرِّح بذاكَ وَرَاحـةٌ تصريحُ**

تحيـل قـراءة الـنص الشـعري هـذا إلـى معانـاة الشـاعر فـي فـراق معشـوقته الـذي أسـماها سُـليمى إذ أجـرى عليهـا مـن دمعـه الكثيـر، ومـا رافـق هـذه مـن قـدوم طـائر البـريح الـذي لا يتفـاءل بـه الشـاعر؛ لأنـه اسـود ذات مقـاديم فيهـا ريـش يصـيح بـالفراق وهـذا مـا يـدعو للألـم فـي نفـس الشـاعر، لكـن اللـذة التـي يعـالج الشـاعر فيهـا نفسـه هـي محادثـة الحبيـب أمـا حـديث غيـره لا يُسْـتَلذَّ بـه، ففـي هـذا الـنص هـو مقسّـم بـين اللـذة والألـم بـين

فـراق الحبيـب ومـا صـاحبه مـن ألـم وبـين حديثـه الـذي يسـتلذ بـه ، ومـن ذلـك يقـول أيضـاً [67]:

من لِـقلـبٍ غَيـْر صاحِ * فـي تصابٍ ومُـزاحِ**

لَجَّ فـي ذكـر الغواني * بَـعْـدَ رُشدٍ وِصَـلاحِ**

ولَقَـدْ قُـلْتُ لِبَـكرٍ * إذْ مَرَرْنا بـالصِّفاحِ**

قِـفْ نُسلِّـم ونحيِّي * ما علينا مـن جُناحِ**

قَمَرَتني جارتي عقـ * لـي كَقَـمرٍ بـالقِداحِ**

أقْصَدت قلـبي ومـا إنْ * أقْصَدتهُ بِسلاحِ**

فـي هـذا الـنص عنـدما يتـذكر الشـاعر النسـاء الحسـناوات يعـود قلبـه ليـدق بلـذة ذكـر الغـواني حينمـا يمـرّ فـي مكـان يسـمى الصـفاح فيطلـب منـه الوقـوف لأداء السـلام والتحيـة ومـا عليـه مـن إثـم إذ غلبتـه جارتـه وأخـذت قلبـه مثلمـا يُأخـذ فـي القمـار وأصـابت قلبـه بسـهام عشـقها مثلمـا يصـاب بالسـلاح، وكـأن الشـاعر كـان فـي ألـم ونكـد لكـن عنـدما مـرّ بهـذا المكـان وتـذكر الحسـناوات اخـذت اللـذة تسـري فـي قلبـه فـأوقف الصـاحب للإفـلات مـن قبضـة الهمـوم والأحـزان التـي يعـاني منهـا، لـذا يلجـأ إلـى تـذكر أيـام الأنـس واللهـو، والشـاعر الغزلـي كمـا هـو معـروف عنـه يتعلـق بكـل شـيءٍ مـن أثـر المحبوبـة فـدائماً تلقـاه يصـف المكـان الـذي تعـيش بـه ويعتبـره مصـدر لذتـه ومصـدر ألمـه ووجعـه في نفس الوقت ، من ذلك قوله[68] :

الريـحُ تسحب اذيالاً وتنشرها * يا ليتني كنتُ ممن تسحب الريحُ**

كيْمـا تجـرُّ بنا ذيلاً فتطرحنا * علـى التـي دونها مغبَّرةٌ سـوحُ**

أنَّـى بِقربِكُم أم كيف لي بكم * هيهات ذلك مـا أمست لنت روحُ**

فَلَيْتَ ضعف الذي ألقى يكونُ بها * بَلْ ليتَ ضِعْفَ الذي ألقى تباريحُ**

إحـدى بُنَيّات عمي دون منزِلِها * أرْضٌ بقيعانِـها القيصوم والشيحُ**

أثــارت الأمــاكن فــي نفــس ابــن ربيعــة بوصــفها باعثــاً مــن بواعــث القــول الشــعري ثنائيــة (اللــذة والألــم) بصــورة غيــر مباشــرة، يُمكــن الكشــف عنهــا عــن طريــق المفــردات التــي تــدل عليهــا فجــاءت هــذه الإثــارة وهــي تمــوج بــين عــاطفتين عاطفــة اللــذة بــالتمني أنْ تسـحبه الـريح وتجـرُّ أذيالـه لتطرحـه فـي القـرب مـن الحبيبـة التـي بينـه وبينهـا سـوح، وبـين عاطفــة الألــم مــن جــراء شــوقه اليهــا، فيتمنــى الشــوق الــذي هــو فيــه – أن يكــون فيهــا– ويرجــع بعــد ذلــك لــذكر المكــان فــي هــذا الــنص وهــو منــزل ابنــت عمــه الــذي تحــاط بــه النباتــات ذات الــروائح الزكيــة التــي ترعاهــا الخيــول فيعــود للاســتمتاع بلذتــه التــي رســمها في صورٍ جميلة عن طريق هذه الأبيات، وفي الدلالة نفسها يقول [69]:

تشطُّ غـداً دارُ جيراننا * وللـدّارِ بـعدَ غـدٍ أبْعَدُ**

إذا سَلَكَتْ غَمْرَ ذي كِنْدةٍ * مـعَ الركبْ قصدٌ لها الفرقدُ**

وحَثَّ الحداة بها عِيرها * سِراعاً إذا مـا ونت تُطْرَدُ**

هنالك إمـّا تُعْزَّى الفؤاد * وإمّـا علـى إثْرِهِم يَكْمَدُ**

فَلَستُ بِبِدْعٍ لَئِنْ دارُها * نَـأتْ فـالعزاءُ إذاً أجْـلَدُ**

إلى أن يقول :

وعيْنٌ تصابي وتدعو الفتى * لِمـا تَرْكـه للفتى أرشدُ**

فَتِلْكَ التي شَيْعتها الفتـاةُ * إلى الخِدْر قَلْبي بها مَقْصَدُ**

تكشف دلالة هذا النص إلى ألم ابن أبي ربيعة وحزنه على فراق الأحبه مستدعياً المكان أيضاً للتعبير عن تلك المعاناة لتجسيد ثنائية (اللذة والألم) التي يمكن الاستدلال عليها من السياق النصي، من خلال توظيف أسماء المواضع مثل (كندة ، وطريق الماء) فالألم والحزن والكمد والتعزّي على رحيلهم، وبقي الشاعر يتوق إلى ذاك الوصال كي يبث لحبيبته ما يشكوه من تأزم وعذاب، أما اللذة تكون في ذكراهم فالأحاسيس الشعرية المنبعثة من ذات الشاعر وعلى صعيد الحب، كما يقول ادونيس " جدلاً بين اللذة

والألم، بين التخلي والتملك، بين الغبطة والحسرة، هذه الحساسية نقيض اللذة التي تحارب الألم لتقضي عليه ونقيض الألم الذي يريد أن ينفي كل لذة، وحدة اللذة والألم في هذا المستوى دليل على سمو المشاعر عند الشاعر...، كلما تعمق الإنسان في فهم كيانه، ازدادت هذه الوحدة وضوحاً وازداد إدراكه إياها، وطاقة اللذة والألم دليل على طاقة الحياة – فبقدر ما يحيا الإنسان بعمق، يتألم ويغتبط بعمق"[70].

المبحث الخامس : ثنائية الواقع والخيال

الواقع والخيال لغة:

الواقع لغة مأخوذ من قولهم " وَقَعَ على الشيء، ومنع يقعَ وقعاً ووُقوعاً، سقط ... ووقع السيف وقعته ووقوعه، هيتهُ ونزوله بالضريبة، والفعلُ كالفعل، ووقع بهم ماكرة ،... ووقع القول والحكم إذا وجب" [71]، ومنه قوله تعالى:﴿ **وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ**﴾ [72]، ولعل أهم الدلالات التي يدل عليها مفهوم الواقع في المعجم اللغوي (السقوط، الهيئة، الفعل والمكر، ووجوب الحكم).

والخيال خلاف الواقع ومنه" خيل ، خال الشيءُ يخالُ خيلا ، وخِيلة وخيَلة وخالاً وخيلاً وخيلاناً ومخالة، ظنه ... وتخيل الشيء له : تشبه وتخيل له انه كذا أي تشبه ، وتخايل ، يقال: تخيّلتهُ فتخيّل لي، كما تقول تصورته فتصور، والخيالُ والخيالة، ما تشبه لك في اليقظة والحُلُم، من صورةٍ " [73]، فالخيال هو (الظن، والوهم ، والتشبه، والطيف، وتمثيل شيء)

الواقع والخيال اصطلاحاً:

الواقع هو كل" ما يتعلق بمجال الوقائع، في مقابل ما يتعلق بما ينبغي أن يكون المعياري والواقعي"[74]، وهو "المتحقق في الأعيان ويقابل الوهمي والممكن والمثالي"[75]، بينما الخيال هو "الصورة الباقية في النفس بعد غيبـــــة المحسوس عنها"[76]، فقد يحقق بعض الفنانين آثارهم الأدبية وهم "في حالة اللامنطقية شبيهة بالحلم فتصدهم أخيلتهم المحمومة المتأمل فيها، ومع ذلك فإنَّ هذا النوع من الإنتاج يمثل في رأيهم حقيقة الفنان عن الكبت والقيود التي يفرضها لصد التقليد أو المجتمع "[77] ، ومن ثمّ يعيش الفنان الشاعر في عالمين عالم متمثل بواقعه المعيش، وعالم مضطرب في خياله، فالواقع والخيال كلاهما ضروري لإنجاح العملية الإبداعية " فالخيال المتخلق فنياً، كتجربة بديلة عن التجربة الواقعية وأحياناً مفضلة عليها لا يمكنه أن يستمر في عطائه من غير معطيات أولية يمده الواقع بها "[78]، وبذلك يتحقق لدى الشاعر إمكانية إفراغ

المحتوى السلبي للواقع في عملية تحويلية ناجحة، وصبها في إطار المستقبل[79]، نرى ذلك في قول عمر بن ابي ربيعة [80]:

حَدَّثونا أنَّها لـــي نَفَثَتْ * عُقَداً يـا حبذا تلـكَ العُقَدْ**

كُلَّما قُلْتُ مـتى ميعادنـا * ضَحَكَتْ هندٌ وقالتْ بعدَ غدْ**

تتجلى في هذا النص الشعري ثنائية الواقع والخيال فالمحبوبة كلما تتحدث للشاعر يُتخيل له أنَّها تنفث في العقد أي تسحره وهذا من خيال الشاعر، ثم يعود الى الواقع فيحدثها عن ميعاد لقياه لها فتضحك وتحدد الموعد، ومن ذلك قوله [81] :

يا صاح لا تلْحني وقل سَدَدَا * إنّي أرى الحبَّ قاتلي كَمَدا**

جُمْـلٌ أحاديثُ ذا الفـــؤادِ إذا * هَـبَّ وأحلامـــــه إذا رَقـدَا**

يحاور الشاعر صاحبه بإسلوب درامي في هذا النص ويطلب منه القول الصائب؛ لأن الحب حتماً سيقتله يوماً فدائماً ما كانت محبوبته حديث الفؤاد في الواقع وحديثه في الاحلام والخيال، وهذا التعبير الشعري كان نتيجة لتيارين متصارعين في الذات الشاعرة تيار جسّد الواقع، وتيار آخر حاول كسب هذا الواقع وبناء واقع متخيل، وكذلك يقول [82]:

يقول عتيقٌ إذا شكوتُ صبابتي * وبّيَّنَ داءٌ من فؤادي مُخامِرُ**

أحــقاً لَئِن دارُ الربابِ تباعَدَتْ * أوِ انْبَتَّ حبـلٌ أنَّ قَلْبَكَ طائِرُ**

فالمتأمل في هاتين البيتين الشعريين يرى أنَّ الشاعر انقسم بين الواقع والخيال فهو حينما يسأله صاحبه يشتكي ألم الشوق ويظهر على محياه داء الفراق ويستفهم منه بالواقع (أحقاً لئن دار الرباب تباعدت) ينقطع قلبك من جسدك ويطير؟ فالخيال هنا في قوله: داء الفؤاد وهو في الواقع لا يبين في القلب وكذلك القلب لا يطير، لكن الشاعر وظفّ الخيال كناية عن شدة تعلقه بالمحبوبة فإذا بعدت انقطع حبل الوصال بينهما وهذا ما نجده في ثنائية الواقع والخيال لدى الشاعر، لذلك يخاطب نفسه ويطالبها بأن تفيق وأن تشد من عزمها، فيقول [83] :

أَفِقْ فقد أَفاق العاشقون وفارقوا الـ * هوى واستمَّرت بالرجالِ المرائِرُ**

زَع القلبَ واستبِق الحياءَ فإنَّما * تُباعِد أو تُدْني الرَّبابَ المقادِرُ**

ففي هذا النص يطالب الشاعر نفسه بالرجوع الى الواقع والكفّ عن الاحلام فيقول: أفِق فقد أفاق العاشقون الهوى وتركوه واستمدوا العزيمة، ومما ورد مثل ذلك قوله [84]:

يا ليتني مِتُّ إذ لم أَلْقَ مِنْ كَلَفي * مُفَرِّحاً وشآني نَحْوها النَظَرُ**

وشاقَني موقِفٌ بالمروتَيْنِ لها * والشُّوقُ يُحْدِثُهُ للعاشِقِ الفِكَرُ**

يخلق الشاعر هنا ثنائية الواقع والخيال في هذا النص الشعري، فهو يتمنى أن يموت حيثُ لم يلقَ من حبه شيئاً مفرحا وهذا ما يقاسيه في الواقع لكنه في عالم الخيال يأخذه الشوق ويبعث به إلى موقف في موضع يقال له (المروتين) إلى محبوبته، وهنا يأتي دور الثنائية الضدية في التعبير الشعري القائم على – الواقع والخيال– التي أكدت على المعطيات التعبيرية المجسدة لأبعاد التجربة الشعورية، ويقول أيضًا[85] :

بنفسي من شفَّني حُبُّهُ * ومَن حُبُّهُ باطنٌ ظاهرُ**

ومن لستُ أصبر عن ذكرهِ * ولا هو عن ذكرنا صابِرُ**

وَمَنْ إنْ ذُكِرْنا جَرَى دمعهُ * ودمْعي لذكري لهُ مائرُ**

وَمَنْ أعْرِفَ الودَّ في وجههِ * ويَعْرِفُ ودّي له النَّاظِرُ**

في هذه الأبيات يعيش الشاعر تحت وطأة ثنائية الواقع والخيال فالحب في نفسه ظاهر واقعي مرةً وباطن مخفي يعيشه في خياله مرةً أخرى، فهو لا يصبر في الواقع حينما يذكر محبوبه في خياله وأيضًا محبوبه عن ذكره ليس صابر، حتى إنّه عندما يذكر الشاعر يجري دمعه وهي صورة جميلة يرسمها الشاعر في الخيال والواقع.

الخاتمة

بعد الحمد والثناء لله جل وعلا، توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:-

- جاءت هذه الثنائيات معبرة عن تجربة الشاعر في الحياة بما تحمله من دلالات فكرية ونفسية، نلمس حضورها بشكل مؤثر في النفس الإنسانية مجسدة عمق التجاذبات النفسية المتناقضة التي يعيشها الشاعر تجاه الحياة.
- أسهمت هذه الثنائيات في خلق مكون أبداعي جمالي فكري نفسي في شعر عمر بن ابي ربيعة إذ كانت ثنائية (القرب والبعد) أكثر الثنائيات بروزًا ولاسيّما أنه شاعر غزلي دائماً ما كان متأثراً ببعد أو قرب المحبوبة.
- الشاعر إنسان معرّض في حياته إلى تناقضات وتضادات، تبعث وبشكل عام من ضعفه وقصوره تجاه الحياة من جهة، وطموحه من جهة أخرى وقد وقف عمر بن أبي ربيعة أمام تجارب الحياة ، واختار الشعر، فكان مأواه الروحي كلما صارعه الألم أو انتابه الفرح لجأ إليه للتعبير عن تلك المشاعر والأحاسيس، وتجلى ذلك في ثنائية الأمل واليأس.
- عمر بن ابي ربيعة لا يختلف عمّن سبقه في الوقوف على الأطلال والبكاء على الديار، إذ وجد في الأطلال المتنفس الوحيد للتعبير عما يختلج في نفسه من الحزن والألم على الذكريات الماضية.
- تميّز الشاعر بكثرة استخدامه لألفاظ الحركة والسكون المتمثلة بالليل والنهار والأطلال، واستخدامه لتضاد الفعل مع الاسم وغيرها من الألفاظ التي ساعدت الشاعر على توليد الدلالات التي أعدت بدورها لخلق الثنائيات الضدية.
- يعيش الفنان الشاعر في عالمين عالم متمثل بواقعه المعيش ، وعالم مضطرب في خياله، فالواقع والخيال كالهما ضروري لإنجاح العملية الإبداعية ، وهذا ما تجسد في ثنائية الواقع والخيال في شعر عمر بن أبي ربيعه

هوامش البحث ومصادره

1- ينظر: ظاهرة البديع عند الشعراء المحدثين ، دراسة بلاغية نقدية / محمد الواسطي ، دار نشر المعرفة ، الرباط ، المغرب ، ط1 ، 2003 ، ص 234.

2- الفروق اللغوية / ابو هلال العسكري ، تحقيق أبي عمرو عماد زكي الباروي ، المكتبة التوفيقية ، سيدنا الحسين ، مصر ، د ط ، د ت ، ص 164.

3- المعجم الفلسفي / جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، د ت ، ج1، ص379.

4- ينظر : التعريفات / علي بن محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان ، بيروت ، د ط ، 1985، ص142.

5- مصطلح الثنائيات الضدية / سمير الديوب (بحث) ، مجلّة عالم الفكر ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد : 1، المجلد : 41 يوليو / سبتمبر 2012 ، ص 99.

6- الحيوان/ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 2 ، 1424هـ،1/ص134.

7- ينظر : مصطلح الثنائيات الضدية ، ص 99.

8- ينظر: ديوان عمر بن ابي ربيعة /تح /فايز محمد ، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان /ط2، 1996، ص7 وما بعدها.

9- م. ن/ ص8.

10- ينظر: م. ن/ص9

11- م. ن/ص9.

12-ينظر: مقالة (زعيم الغزليّن عمر بن ابي ربيعة)/ طه حسين ، جريدة السياسة ،1924.

13- مفردات في غريب القرآن : الراغب الأصفهاني(ت 502هـ)،ج1، تح: مركز الدراسات والبحوث، مكتبة نزار مصطفى الباز، د.ت /ص515.

14- مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر الرازي(ت666هـ) ،مكتبة لبنان ، 1986م:ص 220.

15- القاموس المحيط/ الفيروز آبادي، تح : مكتب التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم ، بيروت – لبنان،2005/ ص268.

16- سورة سبأ: 11.

17- ينظر: المعجم الوسيط / مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية، ط4 ، 2004 /ص68.

18- سورة هود :95.

19- ينظر: يوسف الخطيب ذاكرة الأرض ، ذاكرة النار (بحث) : ناهض حسن، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004م:ص41

20- الديوان / الابيات (7 و 8) ، الفقرة :4/ص36.

21- م. ن / الابيات (1،2 ،3)، الفقرة: 5 /ص36.

22- م. ن : الأبيات (1 ،2، 3) القرة : 6 / ص 37.

23- م. ن : الأبيات (1، 2، 3) الفقرة ،9 / ص 39.

24- م. ن : الابيات (4 ، 5) الفقرة ، 13 / ص 43 .

25- م. ن : البيت (3) الفقرة ،18 /ص 48 .

26- م. ن : الابيات (1، 2، 3، 4، 5) الفقرة :20 /ص 49.

27- م. ن : الابيات (4، 5 ،6) الفقرة : 24 /ص 51.

28- الديوان : الأبيات (2، 3) الفقرة : 26 /ص51 – 52.

29- لسان العرب : ابن منظور، دار صادر، بيروت – لبنان، 1995م : مادة (الحيا).

30- سورة فاطر : 35.

31- معجم التعريفات /ص83.

32- م. ن :ص199.

33- الديوان : الأبيات (4، 5، 6، 7) الفقرة : 33 /ص 58 –59.

34- م. ن : الأبيات (11، 12 ،13، 14 ،15) الفقرة : 35/ص61.

35- م. ن : الأبيات (6 ، 7، 8) الفقرة :39 /ص 64.

36- م. ن: البيت (13) الفقرة : 66 /ص 84.

37- م. ن : الابيات (4 ، 5) الفقرة :70 /ص 86

38- مقالة (زعيم الغزليّن عمر بن ابي ربيعة).

39- لسان العرب : مادة (أمل)

40- القاموس المحيط /ص 582.

41- روضة التعريف بالحب الشريف : لسان الدين بن الخطيب ، تح :عبد القادر أحمد ،دار الفكر العربي، المغرب ، د.ت/ص639.

42- التعريفات :ص95.

43- مدارج السالكين بين منازل (إياك نعبد وأياك نستعين) : ابن قيم الجوزي (ت751 هـ) : تح :رضوان جامع رضوان، ج1:مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2001 م /ص474.

44- نزهة الاعين النواظر في علم الوجوه والنواظر: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي : تح :محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع ، بيروت ، ط7، 1987 م/ص 633.

45- الفروق اللغوية :أبو هلال العسكري: تح : محمد ابراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، د.ت /ص245

46- المعجم النفسي والطب النفسي : جابر عبد الحميد، دار النهضة العربية، القاهرة ، 1988م :ج4/ص 1566.

47- م. ن /929.

47- ينظر : العلاقة بين انماط التفكير والتفاؤل والتشاؤم (رسالة ماجستير) : جمعي بوقفة، جامعة الحاج لخضر، الجزائر /2005 -2006/ص80.

48- ينظر : م. ن /ص88.

49- م. ن : الأبيات (1، 2) ، الفقرة :76/ص90.

50- م. ن : الابيات (8، 9)/ص90.

51- م. ن : الابيات (4 ،5) ، الفقرة :92/ص 104.

52- الديوان : الابيات (5 ، 6 ، 7) ، الفقرة :93/ ص 104.

53- أساس البلاغة : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري : تح :محمد باسل عيون السود، ج2/دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1998 م /ص165.

54- لسان العرب : مادة (لذذ).

55- م. ن : مادة (لذذ).

56- سورة محمد : 15 .

57- سورة الصافات : 46.

58- لسان العرب : مادة (ألم)

59- ينظر : القاموس المحيط/ص 1076.

60- الخطابة الترجمة العربية القديمة :ارسطو طاليس ، تر: عبد الرحمن بدوي، دار القلم بيروت – لبنان، 1979م /ص50.

61-ينظر : التعريفات /201/ص32.

62- ينظر : فلسفة الحب والأخلاق عند ابن حزم الأندلسي : حامد أحمد الدباس، دار الابداع ، عمان، ط1993،1/ص124.

63- التفسير النفسي للأدب : عز الدين اسماعيل، دار غريب للطباعة، القاهرة ، ط4 (د.ت)/ص21 – 22.

64- شعر الوقوف على الأطلال من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث (دراسة تحليلية): عزة حسن ، مطبعة الشرق، دمشق ، 1968م /82

65- الديوان : الأبيات (1 – 5) ، الفقرة :79 /ص94.

66- م. ن : الأبيات (1- 6)، الفقرة : 81 /ص95.

67- م. ن : الأبيات (1- 5) ، الفقرة :84/ص97.

68- م. ن : الأبيات (1 – 10) ، الفقرة :86/ص 98.

69- مقدمة للشعر العربي : ادونيس ، دار العودة ، بيروت – لبنان ، ط3 ، 1979 /ص22.

70- لسان العرب / مادة (وقع).

72- النمل /82.

73- لسان العرب / مادة (خيل).

74- المعجم الفلسفي : مجمع اللغة العربية، تصدير ابراهيم مدكور، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1983 /ص210.

75- المعجم الفلسفي :مراد وهبة، دار قباء الحديثة، القاهرة ، 2007 /ص677.

76- المعجم الفلسفي : جميل صليبا/1/ص546.

77- المعجم الأدبي: جبور عبد النور، دار العالم للملايين، بيروت لبنان، ط1، 1979م /ص98 .

78- تجاور الثنائيات (دراسة في أدب جبرا ابراهيم جبرا) (أطروحة) : ايمان عبد الدخيل، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة ،2002/ص25.

79- ينظر : الشعر بين الواقع والإبداع :صبيح ناجي القصاب ، دار الحرية للطباعة، بغداد ، 1979م /ص60

80- الديوان : الأبيات (17 -18) ، الفقرة :95 /ص107.

81- م. ن : الأبيات (1 - 2) ، الفقرة :107 /ص115.

82- م. ن : الأبيات (1- 2) ، الفقرة : 128 /ص132 .

83- م. ن : الأبيات (3 - 4) ، الفقرة :128 /ص133.

84- م. ن : الأبيات (6 - 7) ، الفقرة:130 /ص135.

85- م. ن : الأبيات (1- 4) ، الفقرة :131/ص 137.